

السجل العلمي

لمؤتمر الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي آثاره العلمية والدعوية

الجزء الثاني

الأربعاء والخميس
٢٤-٢٣ ربيع الأول ١٤٤١

(05)
منهج الشيخ عبد الرحمن السعدي في الرد على الإلحاد
د. خالد بن ضحوي الظفيري

الرعاية

مصرف الإنماء
alinma bank

القضيب

سيكيم
Sipchem
EXCELLENCE everywhere

منهج الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي
في الرد على أهل الإلحاد

د. خالد بن ضحوي الظفيري
قسم العقيدة، جامعة الكويت

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعتذر بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضلّ له، ومن يضلّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَوْا اللَّهَ حَقَّ تَقَاءِهِ، وَلَا يَنْهُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ آتَوْا رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقُوكُمْ مِنْ تَقْسِيرٍ وَجُنُونٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي نَسَأَ لَوْنَبِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَوْا اللَّهَ وَقُولًا قَوْلًا سَرِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ هُرَزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٠].

فخير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلاله، وكل ضلاله في النار.

أما بعد:

فإن من أعظم أبواب الجهاد في سبيل الله تعالى هو جهاد القلم واللسان في الذب عن دين الرحمن، وملة سيد الأنام محمد ﷺ، وتنزيه الإسلام وأهله من تأويلات الجاهلين واتصال المبطلين، من أعداء الملة والدين، على شتى أنواعهم وأصنافهم، من ملاحدة هالكين، وأهل بدع منحرفين، وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبارات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين) (١).

(١) مجموع الفتاوى (٢٣٢-٢٣١ / ٢٨).

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله- : (وأنت إذا تأملت تأويلات القراءات
والملحدة وال فلاسفة والرافضة والقدرية والجهمية ، ومن سلك سبيل هؤلاء
من المقلدين لهم في الحكم والدليل ، ترى الإخبار بمضمونها عن الله ورسوله لا
يقصر عن الإخبار عنه بالأحاديث الموضوعة المصنوعة ، التي هي مما عملته أيدي
الوضاعين وصاغته ألسنة الكذابين ، فهو لاء اختلفوا عليه ألفاظاً وضموها ، وهو لاء
اختلفوا في كلامه معاني ابتدعواها ، فيما محن الكتاب والسنة بين الفريقين ! وما نازلة
نزلت بالإسلام إلا من الطائفتين ، فهما عدوان للإسلام كائدان ، وعن الصراط
المستقيم ناكبان وعن قصد السبيل جائزان) ، إلى أن قال : (فكشف عورات هؤلاء ،
وبيان فضائحهم ، وفساد قواعدهم ، من أفضل الجهاد في سبيل الله)^(١) .

ومن هذا الجهاد العلمي في الذب عن دين الله ما قام به العلامة الشيخ
عبدالرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله- (ت: ١٣٧٦هـ) من رد على أهل
الباطل بأنواعهم خلال كتابه النفيسيه ، وقد حازت مؤلفاته على القبول عند أهل
العلم ، فتناقلوها وتدارسوها وحققواها وخدموها .

ومن تلك الكتب : ما ألفه -رحمه الله- في الرد على أهل الإلحاد ونقض أصولهم
ودفع شبهاهم ، بأسلوب راقٍ ، مدجج بالحجج الناصعة والبراهين الساطعة .
وذاك حين رأى انتشار الإلحاد وخطورته على الإسلام وأهله ، يقول -رحمه
الله- : (وصرنا في وقت القاپض فيه على دينه كالقابض على الجمر من كثرة الإلحاد
والدعوة إليه وكثرة المعارضات الباطلة والميل بالكلية إلى الدنيا وزخارفها
ورئاستها ، حتى صار كثير من الكتاب العصريين يدعون إلى عمارة الدنيا والإقبال
بالقلب والقالب عليها ونسيان الآخرة ، ويحررون لذلك نصوص الكتاب والسنة ،

(١) الصواعق المرسلة (١/٣٠٢، ٣٠١).

فانحرفوا بهذا انحرافاً عظيماً، وأضلوا وأضلوا كثيراً، وأضلوا عن سبيل الله^(١).
والإلحاد مأخذ من معناه اللغوي، وهو: الميل، فمنه اللحد وهو الشق في
جانب القبر الذي قد مال عن الوسط^(٢). فحقيقة الإلحاد المقصود به هنا هو: ما
تضمن جحد الخالق وجحد ربوبيته وأوصافه المقدسة، وذلك كفر عون ونحوه،
وكالفلاسفة الذين يشتمل قولهم على جحد رب العالمين^(٣).

فظاهر قول الملاحدة هو إبطال الدين، ونقض الكتب والرسالات والبعث
والجزاء والحساب^(٤)، ودعوة إلى كل خلق رذيل، بل الانحلال الكلي من الأخلاق،
ودعوة إلى التبرج والسفور والفحوج^(٥)، والانغماس في بحر الشهوات، وإطلاق
السراح للنفوس، وأنه لا ينبغي أن تتقيد بشيء يصدّها عن تحصيل مآربها السفلية^(٦).

ودعوتهم إلى أنَّ الانسلاخ من الدين هو الحلُّ الوحيد -في نظرهم- لرجوع
الأمة إلى النهوض والرقي، قال السعدي في ردّه على القصيمي: (وهذا المفترى
بعد المحاولة والمجادلة، وتردد الكلام والهذر الذي لا حاصل له زعم أنه انفرد
بحلها، فاستنتاج بعقله الجنوني وجرأته العظيمة أن حلّها الوحيد، هو: أن ينبذ الناس
الإيمان وراء ظهورهم، ويكونوا معانقين للطبيعة، منسلحين من الدين والشريعة

(١) الأدلة القواطع (٦/٦٨).

(٢) التوضيح المبين (٦/٤٧١)، وقد نقله السعدي عن ابن القيم في بداع الفوائد (١/١٦٩). وانظر:
لسان العرب (٣/٣٨٩).

(٣) التوضيح المبين (٦/٤٧٩).

(٤) انظر: الرد على الزنادقة (٦/٨٦)، وتنزيه الدين (٦/١٦٦-١٦٧).

(٥) تنزيه الدين (٦/١٩٩).

(٦) تنزيه الدين (٦/١٨٦).

بالكلية، وأنهم إذا فعلوا ذلك فقد حلّوا هذا اللغز المعقد، وإن بقي عليهم بقايا من الإيمان فإنهم في قيود وأغلال قد تعذر عليهم النهوض والرقي^(١).

فأهل الإلحاد هم أكبر أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وهم شرار الخلق، الدعاة إلى الضلال والشقاء، فإنهم تصدوا للمحاربة الأديان كلها، وزين لهم الشيطان علومهم التي فرحوا بها واحتقروا لأجلها ما جاءت به الرسل^(٢)، وقوّضوا دعائم الخير والصلاح، واستبدلوا بها أصول الشر والفساد، والفوّضى في العلوم والعقائد والأخلاق، ما لا متهى لشره وضرره^(٣).

يقول السعدي -رحمه الله-: (ومن أعجب العجائب أن كثيراً من الكتاب العصريين والسياسيين الذين يسعون في معالجة كثير من مشاكل الحياة ويطلبون حلها من جميع النواحي، ومشكلة الإلحاد الذي جرف بيته أكثر الناشئة لم يسعوا في حلها ومداواتها بالرجوع إلى الإيمان الصحيح واليقين النافع والصلاح المطلق من جميع الوجوه، بل تركوهم في ضلالهم يعمهون وفي غيهم يتربدون، وازدادت المشكلات التي يريدون حلها مشكلات أخرى تعذر حلها كما هو المأمول، فكل مشكلات الحياة إذا لم تبن على الإيمان والدين الصحيح ازدادت تعقداً وعظم ضررها وبعد خيرها، فلو أنهم أسسوا معالجاتهم المتنوعة على الدين الصحيح، ووجهوا النشء إلى عقيدته والتخلق بأخلاقه؛ لأنّمّرت مسامعهم كل زوج كريم، ولتوجهت الوجوه والأعمال إلى الخير والصلاح، وانصرفت عن الشر والأضرار

(١) تنزيه الدين (٦/١٩٦).

(٢) انظر: الأدلة القواطع (٦/٧).

(٣) انظر: الأدلة القواطع (٦/١٠).

والأعمال القباح، فالفساد لا يسود إلا إذا عدم الإيمان الذي ينافيه ولا يجتمعه^(١).
بل من خطورة الإلحاد أنه من أعظم معاول هدم الدول الإسلامية، وتسلط الاستعمار الأجنبي عليها، يقول السعدي -رحمه الله-: (لما علم المستعمرون الملحدون أن الإسلام الحقيقي والدين الإسلامي أقوى حصن وأعظم سلاح مقاومتهم، وقد عرفوا بذلك من قديم الزمان، وحملوا حملات متنوعة، فرجعوا على أعقابهم مهزومين لم ينالوا خيراً، وعرفوا حق المعرفة أنه من المحال السيطرة على الإسلام وعقائده وأخلاقه، فعملوا بأمور واسعة متنوعة، وساعدوها بالقوة، ودرسوا الإلحاد في المدارس التي اغفلوا أهلها، وذهبوا بهم إلى رجعية الإسلام وما يدعو إليه من الأخلاق وما يحكم به من الأحكام، وقالوا: إنها رجعية ترجع الناس إلى الوراء عن التقدم المطلوب، وأوجدوا لهم من أرباب المطامع المأجورين ومن البلهاء المغرورين من يستعينون به على مطلوبهم، والتزهيد في الدين من كل وجه)^(٢).

وذكر أن من أعظم طرائق الملاحدة في تدمير الإسلام هو تجنيد أهله من يستجيب لهم؛ ليكونوا معاول هدم للدين وبلدان المسلمين، وكان هذا من أكبر النكبات التي أصيب بها المسلمون، ومن أكبر السلاح لأعداء الإسلام^(٣).

ولابد من معرفة أسباب تغلغل هذا الإلحاد في أهل الإسلام وانتشاره هذا الانتشار الخطير، فالوقوف على الأسباب من أعظم أسباب العلاج والمواجهة لهذا الخطر الداهم، ويوضح لنا العلامة السعدي جملة من هذه الأسباب، أقتصر على بعضها:

(١) الأدلة القواطع (٦/٣٨).

(٢) الأدلة القواطع (٦/٦٤-٦٥).

(٣) انظر: أصول الدين (٦/٨١٣).

١- الإعراض عن الدين.

لاشك أن كل البعد عن الدين، والجهل بالكتاب والسنة، من أعظم أسباب الانحراف، قال السعدي -رحمه الله-: (إن من أكبر أسباب الإلحاد الإعراض عن علوم الدين، ولا فمن عرف ما جاء به الكتاب والسنة وعلم ما جاء به دين الإسلام ولو معرفة متوسطة استحال أن يقع معه الإلحاد جهلاً وضلالاً)^(١).

٢- الصحبة السيئة.

قال على لسان الملحد المنصوح: (فقال له المنصوح: لقد صدقـت فيما قلتـ، ولكن لي على هذا المذهب أصحابـ مثقفون .. ولـي على هذا الرأـي شـبيـة مهـذـبــونـ. قد تـعاـقـدـتـ معـهـمـ عـلـىـ التـمـسـكـ بـالـإـلـحـادـ وـاحـتـقـارـ الـمـسـمـكـــيـنـ بـدـيـنـ رـبـ الـعـبـادـ، قد أـخـذـنـاـ نـصـيـبــاـ وـافـرـاـ مـنـ اللـذـاتـ، وـاسـتـبـحـنـاـ مـاـ تـدـعـوـ إـلـيـهـ النـفـوسـ مـنـ أـصـنـافـ الشـهـوـاتـ فـائـئـيـ لـيـ بـمـقـاطـعـةـ هـؤـلـاءـ السـادـةـ الغـرـرـ، وـكـيـفـ لـيـ بـمـبـاـيـتـهـمـ وـقـدـ اـتـصـلـتـ بـهـمـ غـاـيـةـ الـاتـصـالـ؟ـ فـالـآنـ يـتـنـازـعـنـيـ دـاعـيـاـنـ: دـاعـيـ الـحـقــ بـعـدـمـ بـانـ سـيـلـهـ وـاتـضـحـ دـلـيـلـهــ وـدـاعـيـ النـفـسـ وـالـاتـصـالـ بـهـؤـلـاءـ الـأـصـحـابـ الـمـنـافـيـ لـلـحـقـ غـاـيـةـ الـمـنـافـةـ، فـكـيـفـ الـطـرـيقـ الـذـيـ يـرـيـحـنـيـ وـيـشـفـيـنـيـ، وـمـاـ الـذـيـ عـنـ هـذـاـ الـأـمـرـ يـسـلـيـنـيـ؟ـ)^(٢).

٣- القصور في فهم الدين.

قال: (وأما قصور هؤلاء المؤخرین في علوم التوحيد والدين، مع مهارتهم في فنون الطبيعة، فهذا من آيات الله وبراهين قدرته؛ أن تجد أناساً في غاية الذكاء والبراعة، وقد أدركوا من العلوم والفنون العصرية ما عجز عنه الأولون وحار فيه الآخرون، ثم هم مع هذه البراعة والذكاء المفرط في هذه الأشياء تجدهم في غاية

(١) الأدلة القواطع (٦٦/٦).

(٢) النصيحة الربانية (٦/٩٨-٩٩).

الجهل والقصور العظيم والضلal البعيد عن العلم بالله وتوحيده، وما يستحقه من العظمة والجلال، وتتجدهم يشاهدون من خوارق علم الإنسان ما تخبرهم به الرسل عن الله وأخباره وغيبه وأحوال الجزاء، وهم مقيمون على الكفر والتكذيب؛ أفيقدُرَةُ الإنسـان بـؤـمنـونـ، وبـقـدرـةـ الـمـلـكـ الـعـظـيمـ يـكـفـرـونـ؟؟!)^(١).

٤- الإعجاب بالنفس واحتقار غيره.

قال السعدي في بيان سبب من أسباب ضلال القصيمي: (فهـنـا يـقـفـ العـاقـلـ وـقـفـةـ تـعـجـبـ فـيـقـوـلـ: هـلـ تـرـىـ هـذـهـ السـخـرـيـاتـ وـالـتـهـكـمـاتـ الصـادـرـةـ مـنـ هـذـاـ الرـجـلـ،ـ الـحـامـلـ عـلـيـهـاـ الإـعـجـابـ الـعـظـيمـ بـالـنـفـسـ وـاحـتـقـارـ غـيـرـهـ؟ـ فـإـنـ لـاـ يـسـتـغـرـبـ؛ـ فـإـنـ الـخـيـالـاتـ مـتـىـ اـسـتـحـكـمـتـ فـيـ النـفـوسـ تـجـسـمـتـ وـصـارـتـ لـهـ السـيـطـرـةـ عـلـىـ عـقـلـ الـإـنـسـانـ،ـ وـعـدـمـ الـإـبـقاءـ مـنـهـ عـلـىـ مـكـانـتـهـ بـيـنـ النـاسـ،ـ فـلـاـ يـسـتـغـرـبـ بـهـذـاـ أـنـ ذـكـاءـهـ وـفـطـنـتـهـ اـضـمـحـلـتـ فـيـ ضـمـنـ هـذـهـ السـيـطـرـةـ حـتـىـ تـلـاشـتـ،ـ فـلـمـ يـكـنـ لـهـ إـحـسـاسـ بـمـاـ يـصـدـرـ مـنـهـ،ـ وـأـنـهـ وـصـلـتـ بـهـ الـحـالـ إـلـىـ مـاـ يـشـبـهـ الـجـنـونـ وـعـدـمـ الشـعـورـ)!)^(٢).

وقد نبه الشيخ -رحمه الله- تعالى على أهمية الرد على أهل الإلحاد بل وجوبه على أهل العلم، فقال في ردّه على القصيمي: (ولكن لما كتب هذا الكتاب، وطبعه ونشره بين الناس، وجعله دعاية بلية لنبذ دين الإسلام، بله غيره من الديانات والمبادئ الخلقية، فكان هذا أكبر عداء ومهاجمة للدين ووجب على كل من عنده علم أن يبين ما يحتوي عليه كتابه من العظائم، خشية اغترار من ليس له بصيرة بكلامه)!)^(٣). ومن هنا كانت الجهود الكبيرة والعظيمة للعلامة السعدي في الرد على الإلحاد

(١) تنزيه الدين (٦/١٩٣).

(٢) تنزيه الدين (٦/٢٠٦).

(٣) تنزيه الدين (٦/١٦٣).

وأهله، والتي تمثل في الكتب التالية:

- ١- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين. وقد اشتمل كتابه على ثلاثة وثمانين وجهاً في نقض أصول الإلحاد، نقل بعض هذه الوجوه عن شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم رحمهما الله، وزاد عليها كثيراً من الوجوه، وأضاف جملة من التعليقات.
- ٢- الرد على الزنادقة والقائلين بوحدة الوجود.
- ٣- النصيحة الربانية في الرد على المغتربين بدعاة الإلحاد والمدنية الغربية (انتصار الحق).
- ٤- تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله. وألحق به في مجموع مؤلفاته عدداً من الرسائل للشيخ السعدي حول القصيمي وضلاله، وما تضمنه كتابه.
- ٥- البراهين العقلية على وحدانية رب ووجوب كماله.
- ٦- أصول الدين.

بالإضافة إلى كلمات وتقريرات متعددة في ثنايا كثير من كتبه، كالتفسير، والقول السديد، وغيرهما.

والشيخ السعدي في علاجه لظاهر الإلحاد ربط بين الملاحدة الأولين والملاحدة الآخرين المعاصرین، فبین أن ملاحدة العصر أظهرروا الإلحاد بأساليب أخرى قد تنطلي على أحد من الجهل ومن لا خبرة له بأقوالهم، فكانت ردوده -رحمه الله- شاملة للإلحاد بجميع أصنافه وأهله.

سبب اختيار البحث وأهميته :

دعاني إلى اختيار هذا الموضوع هو:

- ١- ما للإلحاد من خطورة على المسلم، وعلى دينه.
- ٢- انتشار الإلحاد خصوصاً في عصرنا الذي تنوّعت فيه وسائل التواصل الاجتماعي، فكان ذاك مرتعًا واسعًا لبث شبّهات الملحدين، والدعوة إلى نبذ الدين.
- ٣- المكانة العالية للشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله-، ولمؤلفاته التي تتسم بالقوة العلمية المقيدة بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة.
- ٤- تنبيه القارئ إلى أهمية دراسة الإلحاد وأصوله وشبّهات أهله وكيفية الرد عليها. وما ينبغي الإشارة إليه: أن هذا الموضوع كثير الجوانب متعدد المباحث، فالشيخ السعدي -رحمه الله- قد ترك ثروة علمية ثرية وفيرة ومتّسقة فيما يتعلّق بموضوع البحث، فذكر في بعض هذه المسائل والأصول في الرد على الإلحاد إنما هو من باب الإشارة والتنبيه، ومحاولته مني لذكر بعض هذه الأصول وطرائق ردها ومعالجتها، ومن أراد التوسيع فليرجع إلى الكتب المشار إليها، فهي كتب قيمة، كثيرة الفائدة.

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة وأربعة مباحث:

المقدمة: حول الإلحاد وتعريفه وخطورته وانتشاره وأسبابه، وأسباب اختيار البحث، وخطة البحث، وإجراءاته.

المبحث الأول: منهج الشيخ السعدي في بيان الأدلة الشرعية في الرد على أهل الإلحاد.

المبحث الثاني: منهج الشيخ السعدي في بيان الأدلة العقلية في الرد على أهل الإلحاد.

المبحث الثالث: نماذج من منهج الشيخ السعدي في نقض أصول الإلحاد.
المبحث الرابع: نماذج من منهج الشيخ السعدي في نقض بعض شبّهات أهل

الإلحاد.

الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث.

إجراءات البحث:

- ١ - لقد قمت أولاً بقراءة أغلب كتب الشيخ حول الإلحاد والرد على الملحدين، وتقيد المنهج الوصفي العلمي الاستقرائي لردود الشيخ ومعالجته لظاهره الإلحاد.
- ٢ - قسمت هذه التقييدات حسب تنوع الأدلة الشرعية والعقلية، مع ملاحظة وجود تداخل بينها، لأن العقل السليم لا يعارض النص الصحيح.
- ٣ - ذكرت جملة من ردود الشيخ على أصول الإلحاد، وعلى بعض شبّهاتهم، لتكون أنموذجاً يستفيد منه من يخوض غمار هذه الحرب الشعواء بين أهل الإسلام وأهل الإلحاد.
- ٤ - عزوت كلام العلامة السعدي إلى مجموع مؤلفاته، فالجزء المذكور هو من مجموع مؤلفاته التي طبعت في دار الميمان للنشر والتوزيع.
فأسأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث نافعاً مقبولاً عندك، إن ربي لسميع الدعاء، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: منهج الشيخ السعدي في بيان الأدلة الشرعية في الرد على أهل الإلحاد.

إن وجود الله تعالى وربوبية وألوهيته من أعظم المسائل التي اتفقت عليها الأدلة وتنوعت وتکاثرت، فليس هناك قضية أهم وأكبر وأنفع وأوضح من هذه القضية، فيها أرسلت الرسل، ولأجلها أنزلت الكتب، ولها تقابل الصفان الحق والباطل، ولأجلها جُرِدت سيف الحق، فسرد الأدلة على هذه القضية يحتاج إلى نقل القرآن كله، وتدوين السنة جميعها، فكلها دلائل وبراهين على إثبات ألوهية رب العالمين^(١).

فمن جعل القرآن والسنة مرجعه، وسلم أمره لله تسلیماً مطلقاً، فقد أسس بنيانه على أقوى الأسس، ومن أعرض عن الأدلة الشرعية التقليدية فهو على شفى جرف هار ينهر به في نار جهنم، يقول السعدي: (قامت البراهينُ التي لا تنقض على أن كل شيء أَسْسَ على غيره فهو ضرر وخراب، وكل بناء بني على غير تعاليمه وأحكامه فآخره الانهيارُ والتباب، وكلُّ نظام استمد من غيره فعواقبه وخيمة؛ لأن الذي شرعه عالمُ الغيب والشهادة العزيز الحكيم، الذي أحاط بكل شيء علماً، ووسع كل شيء رحمة وبرأ، وتکفل لمن قام به واستقام عليه بالسعادة والفلاح، وضمن لمن تبعده ودان الله به الشواب والنجاج)^(٢).

وقد سلك العلامة السعدي -رحمه الله- في ذكره للأدلة الشرعية مسلك أهل السنة، الذي استقاهم من طريقة الكتاب والسنة، وفهم سلف الأمة، ومن هنا كان لزاماً التنبية على بعض هذه المنهجية في الاحتجاج على بطلان ضلالات أهل الإلحاد

(١) انظر: البراهين العقلية (٦/٧٢٣).

(٢) البراهين العقلية (٦/٧٤٨).

وتقريراتهم الباطلة.

فمن ذلك:

١- بيان مناقضة الإلحاد لدين الله ولرسله جميعاً.

قال السعدي في الرد على أصل من أصول الإلحاد، وهو: البداية بمحو كل ما هو معلوم ثم الشك بكل شيء: (هذه الوصية تتضمن محو العلوم الصحيحة، والمعارف النافعة، والإيمان الصحيح، والاستبدال عن ذلك بأنواع العجالات والضلالات والغبي، ورفض الإيمان بالكلية) ^(١).

بل إن أهل الإلحاد أنفسهم جعلوا الدين والإيمان بالله وإثبات وجوده وربوبيته وأفعاله من أشكال المشكلات عندهم، مع أنها أصل الأمور وأوضحتها وأجلتها براهين ^(٢).

ويبيّن أن أهل الإلحاد غرضهم الوحيد وال حقيقي؛ هو: صد الناس عما جاءت به الرسالة، ومقاومة ذلك بكل طريق ^(٣)، ولذلك نقل تصريح عبدالله القصيمي بأن الحل الوحيد هو أن ينبذ الناس الإيمان وراء ظهورهم، ويكونوا معانقين للطبيعة، ومنسلخين من الدين والشريعة بالكلية، التي يسميهما الأغلال والقيود ^(٤).

قال السعدي: (لقد صدق هذا الكاتب في أن الإيمان حبس لهم، ولكن عن التهتك في الأخلاق الرذيلة، وعن الانغماس في الفجور والفواحش الظاهرة والباطنة، وقيد لهم عن التجربة على الظلم للخلق، في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وجميع حقوقهم،

(١) الأدلة القواطع (٦/١٠-١١).

(٢) انظر: تنزيه الدين (٦/١٩٤).

(٣) انظر: الأدلة القواطع (٦/١٤).

(٤) انظر: تنزيه الدين (٦/١٩٦).

وأن أهله لا يمكن أن يكونوا إباحيين ما داموا متمسكون به؛ لكن يتركه والإعراض عنه تنحل عنهم القيود الشرعية فيصيروا كالبهائم، وتكون أمورهم فوضى^(١).

٢- بيان إجماع الكتب والرسل على نقض الالحاد والإيمان بالله تعالى.

قال السعدي: (أما الشرع: فجميع الكتب المتزلة من السماء وجميع الرسل جاءت بتقرير ما وضع الله في فطر الخلق؛ من الاعتراف بوحدانية الله وكماله المتنوع وصدقه وصدق رسالته وتقرير الحق والحقائق النافعة في القلوب؛ اعتقاداً وتحلقاً وتصديقاً ودعوة إليها وهداية لها من جميع الوجوه. ومن المعلوم أن هذه الوصية الباطلة منافية لذلك غاية المنافاة، مادة للجهالات البسيطة والمركبة وأنواع الصلالات، وداعية إلى الشقاء في الدنيا والآخرة. ودلالة الشرائع على هذا الأمر أعظم وأوضح من أن تفصل، بل هذا روح الشرائع السماوية والشريائع النبوية)^(٢).

٣- بيان اللوازم الفاسدة لأصول الملاحدة.

بيّن العلامة السعدي -رحمه الله- لوازم أصلهم الفاسد في محظى جميع العلوم، ومحظى ما جاءت به الكتب، وأرسلت به الرسل، وأن يستبدل بذلك وساوس النفوس ووحي الشيطان^(٣)، فقال: (هذا الأصل الخبيث يعود إلى تسلسل محظى ما يقع في القلوب من كل علم صحيح وفاسد، ومن كل معرفة حاصلة في القلب، فهو أعظم معول لهم العلوم كلها؛ لأن لازم ذلك يوجب لا يثبت في القلوب شيء من العلوم الصحيحة، بل لا تزال الشكوك والمكابرات تنفي ما يقع في القلوب حتى تنحل العلوم وتنحل الأخلاق، ويتردج بذلك إلى مذهب الإباحية والانطلاق في الفوضى

(١) تنزيه الدين (٦/١٩٦-١٩٧).

(٢) الأدلة القواطع (٦/١١).

(٣) انظر: الأدلة القواطع (٦/١١).

وأغراض النفوس الخبيثة الضارة، ولا يبقى دون ذلك مانع علمي ولا مانع خلقي.
وهذا أعظم معول للشيوخ المفسدة للدين والدنيا، وبهذه الطريقة فشا الإلحاد^(١).

ومن لوازם أصولهم التي يقررونها - كأصولهم الرئيس وهو عدم الإيمان إلا
بالمشاهد المحسوس - إنكار علوم الغيب كلها، ولذلك جحدوا ربوبية الله وأفعاله،
وعطلاوه من أسمائه وصفاته، إذ لم يدخل ذلك تحت مداركهـم القاصرة^(٢). وأن
هذا الأصل قطع عليه الصلة بينهم وبين الله تعالى وكتبه ورسله، فحرموا الهدایة
الصحيحة المثمرة لصلاح الظاهر والباطن وسعادة الدنيا والآخرة^(٣). واندفعت
أفكارهم وإراداتهم وشهواتهم إلى شهوات الغي وإعطاء النفوس منهاها، ولم تقف
عند حد فاستباحت كل قول وفعل محـرم، ووقعوا في الإباحية الممحضة، وصارت
الحيوانات على نصـها أحسن حالـاً منهم^(٤).

قال السعدي: (أما هؤلاء الملحدون الماديـون فعلـى العـكـس من ذلك، فإن آثار
علومـهم وأعمالـهم هـبطـت بالـبشر والإنسـانـية إـلـى أـسـفـل سـافـلـينـ، وـشـقـواـ فيـ دـنـيـاهـمـ
كـماـ شـقـواـ فيـ دـيـنـهـمـ وـعـقـولـهـمـ)^(٥).

وعند كلام السعدي - رحـمه الله - عن التـصـرـيـحـاتـ الإـلـحادـيـةـ لـعـبـدـالـلهـ القـصـيـميـ
بيـنـ لـواـزـمـ أـقوـالـهـ بلـ صـرـيـحـهاـ، منـ إـنـكـارـ اللهـ تـعـالـىـ وـأـفـعـالـهـ وـصـفـاتـهـ، وـإـنـكـارـ عـقـوبـاتـهـ
ومـثـوابـاتـهـ الدـنـيـوـيـةـ وـالـآخـرـوـيـةـ، وـاستـهـزـاءـهـ وـتـهـكـمـهـ بـالـمـؤـمـنـينـ منـ جـمـيعـ طـبـقـاتـ الـأـمـةـ،

(١) الأدلة القواطع (٦/١٢).

(٢) انظر: الأدلة القواطع (٦/١٧).

(٣) انظر: الأدلة القواطع (٦/١٩).

(٤) انظر: الأدلة القواطع (٦/٢٢).

(٥) الأدلة القواطع (٦/٢١).

وأوجب الكفر بهم وبعلوهم، وصرّح بتحقيق الأنبياء تحقيرًا لم يصل إليه ملحد^(١).
وذكر اللوازم الفاسدة لبيان بطلان القول وخطورته؛ مسلك يتناوله العلماء
كثيرًا في ردّهم على أهل الباطل، وكثيرًا ما كان يذكره شيخ الإسلام ابن تيمية
-رحمه الله-^(٢).

٥- بيان مناقضة أقوالهم لأصل الإيمان بالقضاء والقدر.

لاشك بوجوب وأهمية الإيمان بالقضاء والقدر، وأثاره الحميّدة على العبد
المؤمن من الطمأنينة والراحة النفسيّة، فأهل الإلحاد سلكوا في إلحادهم نقض
أصل الإيمان بالقضاء والقدر، فسلك السعدي في منهجه بيان ذلك، وأثره على أهل
الإلحاد، فقال: (فهذا الأصل الكبير فرقه الكتاب والسنة في مواضع كثيرة، وهو
أصل توحيد الربوبية، وقد تقريره في القلوب، واعتقاده الكامل المثمر لكل خير.
وهؤلاء الملحدون يريدون ويحاولون من الخلق أن يجحدوا قضاء الله وقدره،
ويعتقدوا أنه لا حاجة إلى الاستعانة برب العالمين رأساً؛ لأنهم جحدوه وعطّلوا
أفعاله بالكلية، واعتقدوا أن الأفعال كلها للطبيعة. وكفى بقول جهلاً وضللاً أن
يصل إلى هذا الحد الفظيع)^(٣).

٦- بيان فساد مصطلحاتهم العلمية.

قال السعدي: (ومن المنكر والزور تخصيصهم علومهم القاصرة باسم العلم،
فحيث أطلقوا «العلم» أرادوا به علوم الفلسفة وما نتج عنها، ونفوا العلم عمما سواه،
وهذا من باب المكابرات وقلب الحقائق، وإلا فالعلم الحقيقي الذي أثني الله عليه

(١) انظر: تنزيه الدين (٦/١٦٧).

(٢) انظر مثلاً: الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٢٢٩).

(٣) الأدلة القواطع (٦/١٦-١٧).

في كتابه علوم الرسل وبداية الوحي المنزل من عند العليم الخبير، وما سواها فلما
 علوم ضارة، وإما قليلة النفع، وإما نافعة في أمور الدنيا دون أمور الدين. وقد نفخت
 روح الكبر في قلوب أصحابها واحتقرت الأجلها العلوم النافعة في الدين والدنيا، فما
 أضرها وأضر ثمراتها، ونعود بالله من علم لا ينفع^(١).

٧- إظهار زيف مصطلحاتهم التي يزيّنونها ويُزخرفونها.

من وسائل انتشار الباطل زخرفة أهله له، وإظهارهم للإلحاد وأصوله بأسماء
 زينوها أو ألبسوها الشرعية أو نسبوها إلى العقل، فمن منهج السعدي -رحمه الله-
 بيان حقيقة هذه المصطلحات، وإخراجها من الحُسن إلى القبح، ومن الحق إلى
 الباطل، وفي ذلك يقول السعدي: (إن هؤلاء الملحدين روجوا إلحادهم بتحسين
 ما هم عليه بأوصاف إذا سمعها الجاهل هالته واغتر بها وظن صدقها، وكل
 منصف عارف يعرف كذبها وبطانتها، فزعموها تجديداً ورقيناً وتقدماً إلى الأمام،
 وما أشبه ذلك من العبارات التي يغتر بها الجاهلون. وأما البصير العاقل فيعلم أن
 كل تقدم ورقي روحي ومادي فالدين قد أتى به على أكمل الوجه وأسلمها من
 الضرر والفساد، فإن الدين كما أمر بإصلاح الدين فقد أمر بإصلاح الدنيا الإصلاح
 الحقيقى النافع، عاجلاً وأجلأ، عكس ما كذب عليه أعداؤه بأنه مخدّر مفتر...
 ولو لا أن الباطل قد زحرف وروج بالعبارات والدعایات المتّوّعة، ونصرته الدول
 المنحرفة لم يقبله عاقل ولا أصنف إليه لبيب، ولعرف الناس أنه أعظم ظلمة من
 الليل وأضعف من كل ضعيف^(٢).

وقد يَبْيَنُ أَهْلُ الْعِلْمَ أَنَّ هَذَا مِنْ مَسَالِكَ أَهْلِ الضَّلَالِ، مَكْرَأً وَكَيْدًا بِمَنْ لَا يَعْرِفُ

(١) الأدلة القواطع (٦/٢٠).

(٢) الأدلة القواطع (٦/٤٥-٤٦). وانظر: أصول الدين (٦/٨١٩).

حقائق الأمور، فتغره المسميات، فهو من تلبيس إبليس وأتباعه على أهل الإيمان، كما بينه العلامة ابن القيم - رحمه الله -^(١).

٨- عقد المقارنات الشرعية لتبين ضلال الملاحدة.

وهذاباب واسع أطرب فيه الشيخ السعدي أيماءً إطناب، وعقد المقارنات المتنوعة بين الحق والباطل من أعظم الأسباب لإبراز جمال الحق وحسنه وبهجهته، وإظهار فبح الباطل وظلمته وتعاسته، قال السعدي: (اعلم أن الحق والباطل متقابلان، وأن الخير والشر متنافيان. وبمعرفة واحد من الضدين يظهر حسن الآخر أو قبحه. فأنبئك على وجه الإجمال والتنبية اللطيف: إذا أردت أن تقابل بين الأشياء والمtribيات فانظر إلى أساسها الذي أسست عليه، وإلى قواعدها التي انبنت عليها. وانظر إلى آثارها ونتائجها وثمراتها المترفرفة عنها. وانظر إلى أدلةها وبراهينها التي بها ثبتت، وانظر إلى ما تحتوي وتشتمل عليه من الصلاح والمنافع ومن المفاسد والمضار. فعند ذلك إذ انظرت لهذه الأمور بفهم صحيح وعقل رجيع، ظهر لك الأمر عياناً)^(٢).

وقد تنوّعت هذه المقارنات في كلام الشيخ من أوجه كثيرة، ومن ذلك:

١/ مقارنة بين ميزان الحق وميزان الملاحدة^(٣).

٢/ مقارنة بين الملاحدة وبين ما جاء به العقلاء^(٤).

٣/ مقارنة بين الملاحدة وبين ما جاءت به الرسل^(٥).

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١١٢-١١٣ / ١).

(٢) النصيحة الربانية (٦ / ١٠٠).

(٣) انظر: الأدلة القواطع (٦ / ٣٦).

(٤) انظر: الأدلة القواطع (٨ / ٨).

(٥) انظر: الأدلة القواطع (٦ / ٢١، ٢٨)، وتزكيه الدين (٦ / ١٩١)، وأصول الدين (٦ / ٨١٦).

- ٤/ مقارنة بين الملاحدة وبين اليهود والنصارى^(١).
- ٥/ مقارنة بين حال المؤمن وغير المؤمن عند المصائب^(٢).
- ٦/ مقارنة بين من يكون في صفة المؤمن ومن يكون في صفة الملاحد^(٣).
- ٧/ مقارنة بين المؤمن والملحد في حل المشكلات^(٤).
- ٨/ مقارنة بين المؤمن والملحد في الأخلاق^(٥)، وعند معاشرة الخلق^(٦).
- ٩/ مقارنة بين المؤمن والملحد في الظواهر والبواطن^(٧).
- ١٠/ مقارنة إجمالية بين من تقيد بالدين ومن لم يتقيّد به^(٨).

٩- عرض نموذج مما يدعو إليه الإسلام وإبراز محاسنه.

إظهار محاسن الدين وعدله أصل في نقض الإلحاد^(٩)، يقول السعدي: (إذا أردت أن تعلم علم اليقين أن أهل الإلحاد ليس عندهم عقل كما لا دين لهم، وأنه ليس عندهم إلا المكابرة والجحود في قدحهم في القديم أو العتيق، أو ما أشبه ذلك

(١) انظر: الأدلة القواطع (٦/٢٤).

(٢) انظر: النصيحة الربانية (٦/١٠٨).

(٣) انظر: الأدلة القواطع (٦/٥٠).

(٤) انظر: الأدلة القواطع (٦/٤٤).

(٥) انظر: الأدلة القواطع (٦/٥٨).

(٦) انظر: النصيحة الربانية (٦/١١٠).

(٧) انظر: الأدلة القواطع (٦/٥٩).

(٨) انظر: أصول الدين (٦/٨١٦-٨١٩).

(٩) انظر: تنزيه الدين (٦/١٦٩، ١٧٧).

من عباراتهم السخيفة كالرجعة وشبهها، فاعتراض نموذجاً من تفاصيل ما يدعو إليه الدين ويبحث عليه وما يحذر عنه تعرف بها أن المنكرين لها في فساد من عقولهم، وانعكاس من آرائهم، وسفاهة من علومهم وخسارة من أخلاقهم، وأن كل قول أو عقيدة أو خلق أو عمل ليس عليه أمر الدين فهو مردود شرعاً وعقلاً وفطراً. ليس هذا مجرد دعوى، وإنما هو مما يتافق عليه العقلاء^(١).

١٠- ضرب الأمثلة والأقيسة في القرآن على إبطال الإلحاد وأثبات التوحيد.

قال السعدي: (إن الله ضرب الأمثال في كتابه لتقرير التوحيد وتقرير الرسالة والمعاد وإبطال قول من ينفيها أو يقدح في شيء منها، والأمثال أقيسة عقلية تنبه العقول والفتور على تقرير الحق والاعتراف به وإبطال الباطل، وكلها تبطل أقوال المشركين والمكذبين للرسل من مشركين وملحدين ومنحرفين كقوله: ﴿وَمَن يُشِّرِّكُ بِاللَّهِ فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطُفُهُ الظَّنُّ أَوْ تَهُوِي يَهُ الْيَمِّ فِي مَكَانٍ سَجِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. قوله: ﴿يَتَأْيِهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَأَسْتَعِمُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذِبَاباً وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلِمُوا الذِّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَقْدُوهُ مِنْهُ ضَعْفُ الظَّالِمِ وَالظَّلُوبِ﴾ [الحج: ٧٣]. قوله: ﴿هُنَّ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لَّجْلَاجًا فِي هَذِهِ شَرَكَةٍ مُّشَكِّسُونَ وَرَجْلًا سَلَمًا إِرْجِلٌ هَلْ يَسْتَوِيَنِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]. إلى غير ذلك من الأمثلة المقررة لهذه الأصول العظيمة المبطلة لأقوال المبطلين والمعطلين، وكذلك ما ضربه الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - من الأمثلة المقررة لأصول الدين^(٢).

وقد ذكر هذه الأمثلة الكثيرة من القرآن العلامة ابن القيم - رحمه الله -، وبين

(١) الأدلة القواطع (٦/٦٩-٧٠).

(٢) الأدلة القواطع (٦/٧٦).

أن المراد منها تقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر،
واعتبار أحدهما بالأخر^(١).

١١- بيان أضرار الإلحاد على أهل الإلحاد.

بَيْنَ الشِّيخِ - رَحْمَةُ اللهِ - فِي رَدِّهِ عَلَى أَهْلِ الْإِلْهَادِ ضَرْرِهِ عَلَيْهِمْ، وَخَطْرُورَتِهِ عَلَى
مِنْ اتَّحَلَّهُ، وَهَذَا مَسْلِكُ سَلْكِهِ الشِّيخِ يَظْهُرُ فِي بَطْلَانِ الْإِلْهَادِ، يَقُولُ السَّعْدِيُّ:
(وَمِنْ أَعْظَمِ أَضْرَارِهَا وَشَرُورِهَا عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ بِهَا تَكَبَّرُوا عَلَى الْحَقِّ وَعَلَى الْخَلْقِ،
وَاحْتَقَرُوا بِهَا عِلْمَ الرَّسُولِ وَأَتَابِعِهِمْ؛ التِّي هِي النَّافِعَةُ الْمَزَكِيَّةُ لِلْقُلُوبِ، الْمَطَهُرَةُ
لِلْأَخْلَاقِ، الْمَصْلُحَةُ لِلْأَمْوَالِ كُلُّهَا، الْجَالِبَةُ لِلْخَيْرِ وَالْهُدَىِ، الدَّافِعَةُ لِلشَّرُورِ كُلُّهَا).
فَهُؤُلَاءِ الْمَلَاهِدُ وَمِنْ قَلْدَهُمْ عِلْمُهُمْ نَفَخْتُ فِيهِمْ رُوحَ الْكَبْرِيَاءِ، وَصَبَرْتُهُمْ بَطْوِرِ
غَيْرِ طَوْرِهِمْ، وَرَأَوْا بِهَا الْعِبَادَ أَخْسَى مِنَ الْحَيْوَانِ الْبَهِيمِ، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ الْأَرْذُلُونَ.
وَمِنْ أَضْرَارِهَا عَلَيْهِمْ أَنَّهَا - وَإِنْ رَقَّتْ حَضَارَتِهِمْ وَمَدْنِيَّتِهِمْ - وَلَكِنَّهَا حَضَارَة
وَمَدْنِيَّةٌ مَادِيَّةٌ مَحْضَةٌ، مَهْدَدَةٌ كُلُّ وَقْتٍ بِالْهَلاَكِ وَالتَّدْمِيرِ.

فَأَيْ مَدْنِيَّةٌ وَحَضَارَةٌ رُوحُهَا الظَّلْمُ وَالْجَشُعُ وَاسْتَعْبَادُ الْمُضْعَفِينَ، وَالْاسْتَعْدَادُ
بِالْأَسْلَحةِ الْفَتَاكَةِ، الْمَهْلَكَةِ لِلْحُرُثِ وَالنِّسْلِ وَنَتَائِجِهَا وَثُمُرَتِهَا التَّطاَحْنُ بَيْنَ أَهْلِهَا؛
يَصْبُّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضِ الْعَذَابِ الْفَظِيعِ؟^(٢).

١٢- كل دليل أبطل الله به الشرك وقرر به التوحيد أو أثبت الرسالة أو
قرر البعث فهو رد على الملاحدة.

من الْكُلِّيَّاتِ الْشَّرِعِيَّةِ التِّي بَيَّنَهَا الشِّيخُ السَّعْدِيُّ فِي نَفْصِهِ الْإِلْهَادِ: أَنَّ كُلَّ دَلِيلٍ

(١) إعلام المؤمنين (١٦٦/١).

(٢) البراهين العقلية (٧٤٣/٦).

شرعى هو رد على الإلحاد وأهله، فمن ذلك قوله: (إن كل برهان ودليل أبطل الله به الشرك وقرر به التوحيد فهو برهان على بطلان الإلحاد والجحود)^(١). وقوله: (إن البراهين الدالة على رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - ورسالة سائر الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أكبر البراهين على إبطال قول الملحدين وأيات الرسل عموماً ومحمد خصوصاً - لا تعد ولا تحصى، متنوعة من كل وجه، توجب العلم الضروري بصدقهم وصحة ما جاءوا به، وهؤلاء الملحدون أكبر أعداء الرسل في كل زمان ومكان، فلا يجتمع الإيمان بالرسل مع اعتناق مذهب الماديين المنافي للرسالة وللعقول والفطر. والله أعلم)^(٢). وقوله: (البراهين الدالة على البعث كلها تبطل أصول الملحدين...، وهذه أمثلة ونماذج لهذه الأصول الثلاثة: التوحيد، والرسالة، والبعث، وكل واحد من هذه الأصول لو بسطت براهينه لبلغت شيئاً كثيراً، فكل واحد منها قد وصل إلى علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، وهي تهدم أساس التعطيل والإلحاد، وتوجب على العباد الاعتراف بما خلقوا له من الإيمان بالله وكتبه ورسله، وعبادته وحده لا شريك له، ومن المعلوم أن الماديين الملحدين يباهتون وينكرن ذلك كله)^(٣).

وبيّن السعدي - رحمه الله - أن الله تعالى أيد رسوله ﷺ بأمرين عظيمين كل واحد منهما مشتمل على براهين قاطعة كثيرة تدل على وحدانية الله وتنقض الإلحاد من أصله، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِ شَهَدَ أَكْبَرُ شَهَدَةً فَلِلَّهِ شَهِيدٌ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَأُوْجِيَ إِلَى هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ يَلْعَمْ هُوَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فشهادته لرسوله وشهادته هذا القرآن، وفي ذلك يقول السعدي: (فمجرد وقوف الناظرين على هاتين الشهادتين

(١) الأدلة القواطع (٦/٦٢).

(٢) الأدلة القواطع (٦/٦).

(٣) الأدلة القواطع (٦/٦٣-٦٢).

العظيمتين والتأمل بما اشتغلنا عليه من البراهين القاطعة على ما لله من الوحدانية وصفات الكمال والجلال كلها وعلى صدق ما جاء به الرسول، يكفي وحده في إبطال ما ناقضته من أقوال الملحدين^(١).

فهذه جملة من النقاط تبيّن المنهج العلمي الشرعي الذي سلكه الشیخ السعدي في رده على أهل الإلحاد، مما ينبغي أن يستفيد منه أهل العلم وطلابه، في مواجهتهم لهذه الحرب الضروس ضد الإلحاد وأهله.

(١) الأدلة القواطع (٤١/٦). وانظر: (٦٠، ٤٧، ٤٨، ٤٩).

المبحث الثاني: منهج الشيخ السعدي في بيان الأدلة العقلية في الرد على أهل الإلحاد.

إن طرق معرفة الله تعالى واسعة جداً وغير منحصرة في طريق واحد أو دليل واحد^(١)، والمناظرة مع أهل الإلحاد نوع، ومع من يقر بالكتاب والسنة نوع آخر، لذلك لم يكثر الشيخ السعدي من الآيات والأحاديث، وركز على الأدلة العقلية، ولأن القرآن والسنة كلها رد عليهم وعلى أصولهم^(٢).

وقد ألف -رحمه الله- كتاباً مستقلاً في سرد البراهين العقلية على إثبات وجود الله تعالى وألوهيته وربوبيته، قال في أوله: (ولكتنا نريد في هذه المحاضرة أن نشير إشارةً يسيرةً إلى براهينها العقلية التي يشتراك في معرفتها والخضوع لها جميع العقلاة من البشر، ولا ينكرها إلا كُلُّ مكابر مستكبر منابذ للعقل والدين. وهذه المسألة أوضح وأظهر من أن يحتاج لها وتنذر براهينها، ولكن كلما عرف المؤمن براهينها قوي إيمانه، وزداد يقينه، وحمد الله على هذه النعمة التي هي أكبر النعم وأجلها)^(٣).
وأسأرد هنا جملة من النقاط التي توضح منهج الشيخ السعدي الذي سار عليه في ذكره للأدلة العقلية في الرد على الإلحاد وأهله.

١- إثبات أن البراهين العقلية متفقة على وجود الله.

قال: (وأما البراهين العقلية والفطريّة فكلها متفقة على الاعتراف بالله، حتى المشركون الذين يجعلون معه مخلوقات يدعونها ويصرفون لها شيئاً من العبادة

(١) انظر: البراهين العقلية (٦ / ٧٣٢).

(٢) تنزيه الدين (٦ / ٢٠٧).

(٣) البراهين العقلية (٦ / ٧٢٣-٧٢٤).

معترفون أن الله هو الخالق الرازق المدبّر لجميع الأمور، وقد قالت الرسّل: أَفِي الله شَكٌ؟^(١) . ونقل - رحمه الله - عن شيخ الإسلام ابن تيمية ما يبيّن أن جميع الملحدين خرّجوا عن العقليات الصحيحة، وأنه ليس معهم إلا دعاوى باطلة^(٢) .

٢- بيان ضعف وهزالة أدلة الملاحدة وبأن تصورها يدل على مناقضتها للعقل والنقل.

كثيراً ما يبيّن الشيخ السعدي في ردّه على الملاحدة ضعف حججهم وهزالتها، ومناقضتها للعقل والنقل، مع ادعائهم أنهم أهل العقول الرّاجحة، ليوضح للقارئ أنهم بعيدون أشدّ البُعد عن العقل السَّليم، ومحاربون أشدّ المحاربة للنَّقل الصَّحيح، قال - رحمه الله - : (وقد أَصَلُوا الْبَاطِلَهُمْ أَصْوَلًا يَقْلِدُ فِيهَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا، وَهِيَ فِي غَایَةِ الْفَسَادِ، يَكْفِيُ الْلَّيْبُ مُجْرِدَ تَصوُّرِهَا عَنْ إِقَامَةِ الْبَرَاهِينِ عَلَى نَفْضِهَا، لِكُونِهَا مُنَاقِضَةً لِلْعُقْلِ وَالنَّقلِ، وَلِكُنْهِمْ زَخْرُوفَهَا وَرَوْجُوهَا فَانَّخَدَعَ بِهَا أَكْثَرُ الْخُلُقِ).^(٣) .

بل نصّ السعدي - رحمه الله - على أن أقوالهم أقوال المجانين^(٤) ، وأن أقوالهم من المحالات التي لا يمكن تصورها على الحقيقة، فيقول: (إِنْ مَحْوَ الْعِلُومِ الصَّحِيحَةِ وَالْعَقَائِدِ الْحَقَّةِ مِنَ الْقُلُوبِ وَطَلْبُ الشَّكِّ فِيهَا مَحَالٌ غَيْرُ مُمْكِنٍ، وَمَنْ حَاوَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مَكَابِرٌ، فَالْحَقَّاتُ الصَّحِيحَةُ الْمُبَنِّيَّةُ عَلَى الْبَرَاهِينِ الْحَقَّةُ الْوَاضِحةُ لَا يَمْكُنُ إِزَالَتَهَا مِنَ الْقُلُوبِ بِوَجْهِهِ).^(٥) .

(١) تزييه الدين (٦/١٩٥).

(٢) انظر: الأدلة القواطع (٦/٧٩).

(٣) الأدلة القواطع (٦/٧).

(٤) انظر: الأدلة القواطع (٦/٢٧).

(٥) الأدلة القواطع (٦/١٣).

٣- ربط أقوال الملاحدة بأقوال الفلاسفة الملاحدة القدامى.

من أعظم المسالك التي توضح بطلان القول وزيقه؛ أن تبيّن مصدره وأصله، وهذا المنهج سلكه الشيخ السعدي في ربط أقوال الملاحدة مع أقوال غيرهم من أهل الكفر والضلال، قال السعدي: (أعظمها عندهم أصل خبيث منقول عن معلمهم الأول «أرسطو» اليوناني المعروف بالإلحاد والجحد لرب العالمين والكفر به وبكتبه ورسله. وهذا الأصل الذي تفرع عنه ضلالهم أنه من أراد الشروع في المعارف الإلهية فليمتحن قلبه جميع العلوم والاعتقادات، وليس في إزالتها من قلبه بحسب مقدوره، ولি�شك في الأشياء ثم ليكتف بعقله وخياله ورأيه)^(١). وقال: (ألم يكن في آثار الأنبياء والمرسلين ما يستغنى به في أعظم المطالب وأشرف المعارف، عما يروون عن معلم المبدلة الصابئين الذين انتقلوا عن الحنيفية الثابتة بالعقل والدين وهو رأس هؤلاء الدهرية)^(٢).

وقال السعدي في بيان ما تلقفه القصيمي في أباطيله عن النصارى: (وهذا بعينه قد أخذه من دعوة النصارى المفترين، الذين لما بهرهم ما جاءهم به محمد - صلى الله عليه وسلم - من الدين الحق والتعاليم العالية والرقي الكامل والفتح الباهرة والآثار التي لم يحصل عشر معاشرها لأحد من الخلق؛ طفقوا يموهون على الناس ويحللون حياته - صلى الله عليه وسلم - تحليل أحد رجال الطبيعة، يعني الذين لا يؤمنون بالله وملائكته وعالم الغيب من الأرواح والجن بل له الدار الآخرة، وما وراء المحسوسات والملموسات، فأخذ عنهم هذا المأخذ الخبيث، وأنكر الوحي والرسالة بهذا التحليل؛ ورمى النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه طبعي لا يعرف الله

(١) الأدلة القواطع (٨/٦).

(٢) الأدلة القواطع (٨/٦).

ولا يعرف الوحي، فلم ينزل عليه جبريل من عند الله، ولا كان ينادي الله ولا يعبده،
ولا كان عند السياق إلا مشتاقاً إلى الطبيعة فقط^(١).

وفي رده على القصيمي أيضاً ربط بين أقوال الملاحدة المعاصرين وأقوال
زنادقة الدهريين واليهود والنصارى وأعداء الرسول ﷺ من المشركين^(٢).

٤- بيان أن قول الملاحدة يخالف قول جميع العقلاء.

حين يزعم الملاحدة أنهم أهل العقل الراجح وجب بيان أن قولهم يخالف
قول جميع العقلاء، قال السعدي: (إن جميع العقلاء الذين خبروا كلام أرسسطو
وذويه في العلم الإلهي قد علموا أنهم أقل الناس نصيباً في معرفة العلم الإلهي وأكثر
اضطراباً وضلالاً)^(٣).

وقال: (وما العقل: فإن أهل العقول الصحيحة متفقون على أن أفضل المغانم
والمكاسب ما كسبته القلوب وحصلته من العلوم الصحيحة والمعارف النافعة
والإيمان الصادق والأخلاق العالية، التي من اتصف بها صار من علية الخلق
وأكملاً لهم وأرفعهم درجة ومقاماً، فمن أوصى بترك ذلك ومحوه من القلوب
والبحث على الشك والتشكيك فقد جاء لأهل العقول بما لا يعرفونه، بل ينكرون
أشد الإنكار، ويرونه من فظائع المنكرات)^(٤).

٥- بيان تناقض أقوال الملاحدة في كثير من المسائل والدلائل.

إثبات التناقض في أقوال أهل الباطل من أعظم المسالك المهمة التي يجب أن

(١) تنزيه الدين (٦/١٧٨).

(٢) انظر: جواب مجمل (٦/٢١٠-٢١١)، ونبذة جامعة (٦/٢٢٤).

(٣) الأدلة القواطع (٦/٩).

(٤) الأدلة القواطع (٦/١١-١٢)، وانظر: (٦/٦١، ٤٩، ٣٥، ١٨/٦).

تسلک عند نقض الأقوال وإظهار زيف الدعوات الباطلة، وبذلك نقض السعدي -رحمه الله- أقوال الملاحدة، فقال: (رؤساؤكم قد تضاربت أقوالهم وتناقضت مقالاتهم ولم يثبتوا على مقالة واحدة، ولم يزوالوا في خبط واحباط وإحداث نظريات ونقضها واتفاق وافتراق) ^(١).

ولمَّا رد على القصيمي أظهر كثيرا من تناقضاته ليظهر بطلان قوله، ومن ذلك حين أنكر القصيمي الملائكة والجن والأرواح، يقول السعدي: (شعر أن الناس لا بد أن يقولوا: هذا كلام مكذب بالملائكة والجن والأرواح، فقال نفافقاً: «ليعلم بعد هذا أننا ممن يؤمِّن بالأرواح والملائكة والجَن وبما أخبر الله به...» إلى آخر ما قال. فانظر إلى هذا التناقض والبهرجة التي لا تخفي على من له أدنى عقل، ولكن من غروره بنفسه، يحسب أن الناس كالبهائم) ^(٢).

٦- إثبات أن دعوة الرسل لا تخالف العقل السليم وباعتراف بعض منصفى الملاحدة.

حين ثُبَّت للخصم أنَّ قوله يعترف بضلالة وخطئه بعض منصفى قومه وشيوخه، فهذا من أقوى الأدلة عليه، وهذا ما سلكه السعدي في منهجه في الرد، يقول: (ومن تأمل ما خالف النصوص الصحيحة الصريرة وجدها شبكات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها وثبوت نقاصها، والرسل صلوات الله وسلامه عليهم تخبر بما تعرفه العقول جملة وتفصيلاً، أو تعرفه جملة ولا تهتدي إلى تفصيله، أو تخبر بأمور لا تهتدي إليها العقول بمجردها لا جملة ولا تفصيلاً، ومحال أن تخبر بما

(١) الأدلة القواطع (٦/٢٦)، وانظر: الأدلة القواطع (٦/٣٢، ٢٨، ٥٧)، وتزييه الدين (٦/١٦٤).

والدرة البهية في شرح القصيدة الثانية (٦/٧٨٠).

(٢) تزييه الدين (٦/١٩٩).

تحيله العقول الصحيحة. وهذا يعرفه كل من له خبرة بالشريعة الإسلامية وخبرة بمقالات الأمم، وقد تتبع كبار العلماء وأساطين الحكماء وفحول أهل النظر ذلك فوجدوه كذلك في جميع الحقائق التي جاءت بها الرسل، وبرهنو أن كل ما خالفها هو ضلالات وجهات وخيالات، حتى باعتراف من أنصف من هؤلاء الملحدين فضلاً عن أولي الألباب والبصائر وأهل العقول الواقية المتغذية بالوحي والهدایة النبوية، فإنهم علموا علم اليقين أن جميع ما جاءت به الرسل من أمور الغيب ومن الأحكام الشرعية والقدريّة والجزائية هو حق اليقين فتيقنوه بقلوبهم وشهدت به ألسنتهم وهدوا به الخلائق^(١).

٧- إظهار النقص في علومهم.

من أعظم أوجه بطلان تقريرات وعلوم الملاحدة إثبات أنها علوم ناقصة، لا تكفي ضروريات الإنسان ولا حاجياته، وهذا له أمثلة كثيرة، ومن ذلك أنها لا تعالج تهذيب النفس، قال السعدي: (إنه ممتنع كل الامتناع، ومستحبيل أن تتهذب النفوس وتكتسب الفضائل بعلوم المادة الممحضة وأعمالها، والتجارب والمشاهدة أكبر برهان على ذلك، فإنها مع تطورها وتبخرها عجزت كل العجز عن تهذيب النفوس وإصلاحها الذي يتوقف عليه صلاح البشر، وإنما الذي يتكلل بهذا الإصلاح ويتولى هذا التهذيب الصحيح ويوجه الأفكار إلى العلوم الصادقة ويوجه الأعمال إلى الخير ويزجرها عن الشر هو ما جاء به الدين الإسلامي، فهو مصلح للعقائد والأخلاق ومهدب للأفكار وحاث على الفضائل وزاجر عن الرذائل)^(٢).

(١) الأدلة القواطع (٦/٢٩-٣٠).

(٢) الأدلة القواطع (٦/٤٧).

٨- الاستدلال بحيرة واضطراب وشك أهل الإلحاد.

مما يظهر بطلان قول الملاحدة كثرة اضطراب أهله، وهذه سمة بارزة لعموم أهل الضلال والأهواء، وهذا منهج لأهل العلم ساروا عليه في الرد على أهل الباطل، قال السعدي: (أهل الجحود والإلحاد لم يصلوا في علومهم إلا إلى جهل مركب أو جهل بسيط أو جحود مع العناد، لأن رؤسائهم وأساطينهم، أهل الذكاء والقطنة الذين أفنوا أنفاسهم في هذه البحوث، لم يصلوا إلى يقين تطمئن له قلوبهم، بل إما إلى حيرة وارتياب، وإما إلى اختلاف كثير واضطراب، وإنما إلى مكابرة من هؤلاء الأحزاب، كما عرف ذلك من مقالاتهم. فإذا كان هؤلاء هم الرؤساء فكيف بمقولديهم الذين لم يبلغوا عشر معشارهم في الذكاء والقطنة والبحث؟^(١)).

ولاشك أنَّ الحيرة وعدم الثبات من سمات أهل الضلال والانحراف، فلا يبتلون على دين واحد وتغلب عليهم الشكوك، وهذه عادة الله فيمن أعرض عن الكتاب والسنة، كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢).

٩- قلب الدليل على الملاحد.

من أصول الملاحدة التي يستدلون بها على ترك الإسلام بل حربه وحرب أهله، دعواهم أنه سببُ للتَّخْلُفِ، واستدلوا بحال المسلمين من بعدهم عن التَّطَوُّرِ المدني والرقي الصناعي، ومن لطائف ردود الشيخ السعدي على هذا الملاحد أن جعل هذا التَّخْلُفُ حجة على وجوب السعي في تقوية الإسلام وتطور بلدان المسلمين وليس تركه وحربه، فقال: (أليس ضعف المسلمين في هذه الأوقات يوجب لأهل البصائر والنجدة منهم أن يكون جدهم ونشاطهم وجهادهم الأكبر

(١) الأدلة القواطع (٦/٨٠-٨١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/١٥٧).

متضاعفًا، ويقوموا بكل ما في وسعهم لينالوا المقامات الشامخة ولينجوا من الهوة العميقه التي وقعوا فيها؟. أليس هذا من أفرض الفرائض وألزم اللازمات في هذه الحال؟ فالجهاد في حال قوة المسلمين وكثرة المشاركين فيه له فضل عظيم يفوق سائر العبادات، فكيف إذا كانوا على هذه الحالة التي وصفت؟ فإن الجهاد لا يمكن التعبير عن فضائله وثراته.

ففي هذه الحال يكون الجهاد على قسمين:

أحدهما: السعي في تقويم المسلمين وإيقاظ هممهم وبعث عزائمهم وتعليمهم العلوم النافعة، وتهذيبهم بالأخلاق الراقية، وهذا أشق الأمرين وهو أنفعهما وأفضلهما.

والثاني: السعي في مقاومة الأعداء وإعداد جميع العدد القولية والفعلية والسياسية، الداخلية والخارجية، لمناؤتهم والسلامة من شرهم!

أفحين صار الأمر على هذا الوصف الذي ذكرت، وصار الموقف حرًّا تتخلّى عن إخوانك المسلمين وتختلف مع الجبناء والمخالفين؟ فكيف مع ذلك تنضم إلى حزب المحاربين؟! الله الله يا أخي، لا تكون أقل من قيل فيهم: ﴿تَعَاوَنُوا فَتَبَيَّنُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَذْفَعُوا﴾ [آل عمران: ١٦٧]. قاتلوا لأجل دينكم أو ادفعوا لأجل قومكم ووطنكم! لا تكون مثل هؤلاء المنافقين. فأعذنك يا أخي من هذه الحال التي لا يرضها أهل الديانات ولا أهل النجدات والمرءوات. فهل ترضى أن تشارك قومك في حال عزهم وقوة عددهم وعنصرهم، وتفارقهم في حال ذلهم ومصائبهم، وتخذلهم في وقت اشتتدت فيه الضرورة إلى نصرة الأولياء ورد عدوان الأعداء؟ فهل رأيت قومًا خيرًا من قومك أو شاهدت دينًا أفضل من دينك؟^(١).

(١) النصيحة الربانية (٩٤/٩٥).

وفي رده على القصيمي، ذكر أن القصيمي اعترف في مواضع من كتابه بانفراده عن الناس بكثير من تقريراته وأنه أدرك ما لم يدركه الرسل، وبين السعدي أن هذا مع ما فيه من العجب والاغترار والكذب، اعتراف بالشذوذ ومخالفة العقلاً كلهم، فقلب مدحه لنفسهم إلى ذم في الحقيقة^(١).

وقلب الدليل على المبطل من الأساليب التي يستخدمها العلماء في بيان زيف أقوال أهل الضلال، كما قال ابن القيم - رحمه الله -: (وهذا من أحسن قلب الحجة، وجعل حجة المبطل بعينها دالة على فساد قوله، وبطلان مذهبة)^(٢).

ومن أساليب الشيخ السعدي في الرد على أهل الإلحاد وعلاج ظاهرة الإلحاد: استخدام أسلوب المحاورة بين رجلين رفقيين مسلمين يطلبان العلم، غاب أحدهما عن صاحبه مدة، فلما التقى وجد صاحبه تبدّلت أحواله وأخلاقه، بسبب دعاية الملحدين، فحاول نصحه وإرجاعه فأعانته الحيلة، فعرف أنها علة عظيمة، ومرض يفتقر إلى استئصال الدّاء بأنفع الدواء، وبعد المناقشة والمحاورة يدعو الملحد إلى التوبة، بصورة الرجل الذي اقتنع بما عليه من الضلال والانحراف، وشكّره للناصح على بذله للنصيحة، وهذه المحاورة عنوانها بالنصيحة الربانية في الرد على المغتربين بدعاة الإلحاد والمدينة الغربية (انتصار الحق)^(٣).

كما نجده - رحمه الله - في معالجته لظاهرة الإلحاد يستخدم أحياناً الذين في الخطاب، وأحياناً الشدة والغلطة، وكل ذلك بحسب حكمته - رحمه الله - في معالجة هذه الظاهرة، ففي أسلوب المحاورة المذكور آنفًا، نجده لين العبارة،

(١) انظر: تزية الدين (٦/١٩٣).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/٢٥٤)، وانظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/٢٩٢).

(٣) انظرها في: (٦/٩١) من المجموع.

رفیقاً في المنصوح، وعند رده على القصيمي أو عند بيانه لبعض مآلات الإلحاد أو خطورة معتقداته؛ نجده شديداً في العبارة، ومن أمثلة ذلك، قوله: (فَعُوذُ بِاللهِ مِنْ هَذَا الْكَبَرِ الَّذِي هَبَطَ بِصَاحْبِهِ إِلَى هَذِهِ الْدُّرُكَاتِ وَمَنْعَهُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْعِلُومِ النَّافِعَةِ وَالسَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ، وَحَسِنَ لَهُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلُومِ النَّاقِصَةِ وَالْأَعْمَالِ الْقَبَاحِ) ^(١)، وهذه الشدة لم يكن دافعها عداء شخصي ولا انتصار للنفس بل هي الغيرة على الدين، والغضب لله رب العالمين، وفي ذلك يقول: (وَنَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى مَا نَبَهَنَا عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْفَظَائِعِ وَالشَّنَاعَةِ الَّتِي لَا يَقُولُهَا إِلَّا مِنْ أَنْتَهِي إِلَحَادِهِ وَكُفَّرَهُ، لَمْ نَسْتَعْمِلْ مَعَهُ فِي خُطَابِهِ الْخَاصِّ إِلَّا الرِّفْقَ وَاللِّيْلَيْنَ اتَّبَاعًا لِكِتَابِهِ وَالسُّنْنَةِ فِي خُطَابِ الْمُحَارِبِينَ الْمُنْهَرِفِينَ أَنْ يَقُولَ: قَالَ فَلَانُ، وَفَعَلَ فَلَانُ؛ وَأَمَّا عَنْدَ ذِكْرِ الْأَقْوَالِ الشَّنِيعَةِ، فَيُذَكِّرُ مَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنَ الضررِ وَالْمُنَاقِضَةِ لِلأَدِيَانِ، وَمَرْتَبَتْهَا فِي الْبَعْدِ مِنَ الدِّينِ، وَبِيَانِ مَا عَلَى قَائِلِهَا مِنَ الْضَّلَالِ وَالْغَيِّ، فَيَكُونُ الْقَدْحُ فِيهِ مُوجَهًا عَلَيْهِ مِنْ أَقْوَالِهِ، وَبِيَانِ مَا عَلَى صَاحِبِهَا مِنْ نَقْصِ الدِّينِ وَالْعُقْلِ وَالرَّأْيِ، وَلَيْسَ لَنَا غَرَضٌ فِي شَخْصِيَّةِ هَذَا الرَّجُلِ، وَلَكِنْ لَمَّا اعْتَدَى عَلَى دِيَنَنَا الْإِسْلَامِيِّ، وَعَلَى قَوَاعِدِهِ وَأَصْوَلِهِ وَأَسْسِهِ، وَتَهَكَّمَ بِهِ وَبِحَمْلِهِ، وَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ زَنَادِقَ الْمُلْحِدِينَ، وَصَنَعَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ أَعْظَمَ مِنْ صَنْيِعِ دُعَاءِ النَّصَارَى مِنَ الْمُبَشِّرِينَ، وَجَبَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَدَافِعَتِهِ وَدَفْعَ شَرِهِ وَتَبَيْنَ أَمْرِهِ، وَالتَّحْذِيرَ مِنْ طَرِيقَتِهِ وَدُعَايَتِهِ بِحَسْبِ الْقَدْرَةِ، وَإِلَّا فَوَاللَّهِ إِنَّا لِنَأْسَفُ أَشَدَّ الْأَسْفِ عَلَى اِنْقَلَابِ هَذَا الرَّجُلِ، وَنَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْخَسَائِرِ عَلَيْنَا، حِيثُ فَقَدَنَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي مَضَى لَهُ مِنَ الْمَقَامَاتِ وَنَصَرَ الْحَقَّ مَا لَا يَنْكِرُ) ^(٢).

وقد توسع -رحمه الله- في بيان الدلائل العقلية على وجود الله تعالى وكماله وألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته في كتابه النفيس: (البراهين العقلية على وحدانية

(١) الأدلة القراطع (٦/٣٢).

(٢) تزية الدين (٦/٢٠٧).

الرب ووجوه كماله)، فقد ذكر أكثر من عشرين دليلاً وبرهاناً على ذلك، وبين في مقدمته أن حدوث الأشياء له ثلاث أقسام عقلية: أحدها: أن توجد هذه المخلوقات بنفسها من غير محدث، وهذا محال وممتنع. والثاني: أن تكون خالقة بنفسها، وهذا أيضاً محال وممتنع. فلم يبق إلا القسم الثالث: وهو أن هذه المخلوقات لها خالق خلقها، وهو الله رب العالمين^(١).

ومن الأدلة العقلية المذكورة في هذا الكتاب على وجه الإجمال:

- ١/ التفكير في خلق الإنسان.
- ٢/ رحمة الله العامة.
- ٣/ النظر في أحوال المضطربين.
- ٤/ إجابة الله للدعوات.
- ٥/ أيام الله ووقائعه.
- ٦/ ما عليه الأنبياء من الكلمات، وما لهم من الآيات.
- ٧/ العواقب الحميدة للمؤمنين، والذميمة للكافرين.
- ٨/ إخبار الله ورسوله عن أمور الغيب.
- ٩/ الآثار الجليلة المترتبة على رسالة محمد ﷺ.
- ١٠/ إحكام الشريعة وصدق أخبارها واتفاق أحكامها.

كما ذكر في هذا الكتاب جملة من الأمثلة والحكایات في الاستدلال على الله تعالى، بأسلوب جميل، بدأ أكثرها بقوله: (بِمَا عَرَفْتَ رَبَّكَ؟)، ذكر فيها ما يقارب ستة عشر مثالاً^(٢).

(١) انظر: البراهين العقلية (٦/٧٢٤).

(٢) انظر: البراهين العقلية (٦/٧٣٣).

إلى غير ذلك من الأدلة النقلية والعقلية المتفقة على وجود الله تعالى وألوهيته وربوبيته، قال السعدي في آخره: (والحاصل أن جميع الموجودات، وجميع الحوادث والمعارف والحركات أدلةٌ وبراهين على وحدانية رب الأرض والسموات)^(١).

(١) البراهين العقلية (٧٥٦/٦).

المبحث الثالث: نماذج من منهج الشيخ السعدي في نقض أصول الإلحاد.

استخدم أهل الإلحاد كل وسيلة لنشر إلحادهم وترويجه على جهلاء الخلق، وقد بين الشيخ السعدي -رحمه الله- أن مجموع طرائق أعداء الدين تدور حول ثلاثة محاور:

الأول: نبذ الدين والإيمان.

والثاني: منابذة الدين ومقاومته وعداؤته.

والثالث: التمويه والمخادعة للأغرار أن الدين يدعو إلى ما يقولون^(١).

وبجانب بيانه أصول الإلحاد فقد وضح أن العلوم النافعة مدارها على أمرين:

الأول: أن يعرف ما أخبرت به الكتب والرسل عن الله تعالى وملائكته وكتبه

ورسله وسائل الغيوب، وما جاءت به من الأحكام.

والثاني: معرفة براهين ذلك العقلية والسمعية والنظرية، والوقوف على أسرارها

وحكمها^(٢).

وسأذكر في هذا المبحث عدداً من أصول أهل الإلحاد وجوانب من ردود الشيخ السعدي عليها.

الأصل الأول، أن من أراد الشروع في المعارف فليصح من قلبه جميع العلوم وليشك في الأشياء، ثم ليكتف بعقله وخياله ورأيه.

وهذا الأصل للملحدة الذي أخذوه عن معلمهم الأول أرسسطو هو الذي

(١) انظر: نبذة جامعة مختصرة في التحذير من كتاب «هذا هي الأغالب» (٢٢١/٦)، وتزييه الدين (١٦٦/٦)، وجواب مجلمل (٢٠٩/٦).

(٢) انظر: الأدلة القواطع (١٦/٦).

لأجل نقضه كتب الشيخ السعدي كتابه: (الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين)، ونقل فيه جملة من الأوجه عن شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم، ورد فيه على هذا أصل من ثلاثة وثمانين وجهًا. قال السعدي: (ومن أبلغ من تكلم عليها وأبطلها شرعاً وعقلاً شيخ الإسلام ابن تيمية، فإنه بين عدة وجوه في فسادها وبطلانها، كل وجه منها كافٍ في إبطالها، فكيف إذا اجتمعت؟ فننقل كلامه عليها ثم نتم ذلك بما يسره الله) ^(١).

ومن هذه الأوجه:

الأول: أن في آثار الأنبياء ما يغني في أعظم المطالب عن كلام غيرهم من الصائبة.

الثاني: أن جميع العقلاة علموا أن أرسطو وذويه من أقل الناس نصيباً في معرفة العلم الإلهي، وأكثر اضطراباً وضلالاً.

الثالث: أن هذا القول مخالف للفطرة الصحيحة التي خلق الله تعالى العباد عليها وهي الدين والإيمان بوجود الله وربوبيته.

الرابع: وجوب التسليم لما جاء به الرسول ﷺ والإيمان به.

الخامس: أن هذه الوصية تتضمن محظوظات النافعة الصحيحة واستبدالها بالجهالات والشك والضلالات. إلى غير ذلك من الأوجه النافعة الكثيرة.

يقول السعدي: (عن هذا الأصل الخبيث الباطل حكموا حكماً فظيعاً باطلاً، وهو أن الرجوع إلى الماضي رجعية فاسدة، وأنه يجب إهدار كل قديم. وهجروا بعياراتهم المتنوعة كل قديم ليتصروا بذلك لللقدح فيما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب، وقالوا: إن البشر لم يبلغوا سن الرشد إلا في هذا الوقت الذي طفت فيه

(١) الأدلة القواطع (٦/٨).

علوم المادة وانحلت الأخلاق وشاعت الإباحية والفووضية الضارة المهلكة، حتى
 تفاقم الشر وعم الطغيان وأضمحل الخير^(١).

الأصل الثاني: ربط المعلومات بالمحسوسات فقط.

قال السعدي: (قاعدة من أثبتت أو أثبتت أصول الإلحاد وهي أن العلم
 الحقيقي عندهم ما يدرك بالحواس فقط، وما لم يدرك بالحواس فليس عندهم
 بعلم، ولا يعد من الحقائق الصحيحة، وهذه القاعدة الخبيثة خالفوا فيها جميع
 الأديان الصحيحة، بل خالفوا فيها جميع العقلاء؛ فإن مدارك العلم كثيرة متنوعة؛
 مدركات الحس ومدركات العقل ومدركات الأخبار الصحيحة، والنوعان
 الأخيران مدركتهما أعظم وأكمل وأوسع، فإذا نفيت لم يبق إلا المدركات التي
 تدرك بالحس وهي دائرة ضيقة توقع أهلها في المهالك، فأعظم آثارها وأبطلها إنكار
 علوم الغيب كلها)^(٢).

وقد بين العلامة السعدي -رحمه الله- تعالى تناقضهم في هذه القضية، ورد
 عليهم من أوجه كثيرة، ومن ذلك:

الأول: أن طرق العلوم اليقينية كثيرة، وأكثرها لا تدخل تحت إدراكاتكم
 القاصرة حتى باعترافكم، فإنكم تعرفون أن مدركاتكم خاصة ببعض المواد
 الأرضية وأسبابها وعللها وليس بكلها باعترافكم، ويدل على ذلك أنكم لا تزالون
 تبحثون وتعملون التجارب التي تنجح مرة وتخفق مرة.

الثاني: أن رؤساءكم تضاربت أقوالهم وتناقضت ولم يثبتوا على مقالة واحدة
 فيما يبتهوه أو ينفوه.

(١) الأدلة القواطع (٦/٢٠).

(٢) أصول الدين (٦/٨١٤).

الثالث: لو قدر على وجه الفرض اتفاقهم على الإنكار، فكيف يؤخذ بأقوال من لم يُعرف صدقهم، بل عُرف كذبهم وخطؤهم في ذلك.

الرابع: قد اتفقت الرسل والأنبياء وأتباعهم، وأدلة العقول الصحيحة والفتقر السليمة التي لم تغيرها العقائد الفاسدة على الإيمان بالله وكتبه ورسله وبكل غيب^(١).

الأصل الثالث: قياس الرب على المخلوق.

من أصول الإلحاد والإشراك بالله تعالى قياس المخلوق على الخالق، والخالق على المخلوق، وهذا ما ذكره السعدي في قوله: (أصل بلاء المشركين والملحدين قياس الرب العظيم بالمخلوق الناقص الحقير، ولم يعترفوا أن الله ليس كمثله شيء، وأن له المثل الأعلى في السماوات والأرض، وأن له العظمة كلها والكبرياء كلها والمجد والحمد والجلال، وأن ما للخلق من أولهم إلى آخرهم من قوة وعظمة وأوصاف فإنها تضمحل غاية الأضمحلال ولا يبقى لها نسبة بوجه من الوجه إذا نسبت إلى عظمة الله وجلاله وكماله).

ثم رد عليهم ببيان عظمة الله تعالى، وجلاله وكماله في جميع أسمائه وصفاته وأفعاله، ويبيّن أن الملاحدة لما لم تصل معارفهم إلى شيء من ذلك، وحصروها في بعض الأسباب، ولم ترق إلى مسبب الأسباب، ظنوا أن ما وصلوا إليه هو غاية العلم ونهاية المعرفة جهلاً وضلالاً^(٢).

الأصل الرابع: تحكيم العقل وتقديمه على النقل.

قال السعدي: (إن مدار هؤلاء الملحدين على تحكيم عقولهم، وعرض العلوم

(١) انظر: الأدلة القواطع (٦/٢٦)، أصول الدين (٦/٨١٤، ٨٢٤، ٨٢٥).

(٢) انظر: الأدلة القواطع (٦/٣٠-٣١)، وتز zie الدين (٦/١٨٩).

والحقائق عليها، فما وافقها قبلوه، وما ناقضها نفوه وأنكروه^(١).

وردَ رحمه الله - على أصلهم هذا بيان أنهم بذلك عارضوا بها عقول جميع العقلاء وعلوم الأنبياء، وأن عقول الملاحدة عرف فسادها وتناقضها، وأنهم بهذا الأصل المنهاج المتهافت فتحوا للناس باب الفوضى في الآراء والنظريات، حتى صار كل جاهل يدعى أن الصواب معه، حتى قدحوا بما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب^(٢).

قال: (فيما عجبًا لمن اغتر باحتمالات عقول قد تبين سفاهة أهلها وجرائمهم وهجومهم على أشرف العلوم وأعظم الحقائق فأبطلوها وأنكروها، ولا يغرنك كما غرهم مهاراتهم في بعض علوم الهندسة والطبيعة والمخترعات الصناعية؛ فإنها لا تغني من الحق شيئاً ولا تدل على فضل أهلها الفضل الحقيقي ولا شرفهم: ﴿لَا يُغْرِيَنَّكَ تَقْلِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْأَيَّلَدِ﴾ [١٣٦] مَتَّعْ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَنْسَ الْمَهَادُ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧]. قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمِعًا وَبَصَرًا وَأَفْيَدْنَاهُمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمِعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذَا كَانُوا يَجْحَدُونَ﴾ [إياتك الله وحاف بهم ما كانوا به، يستهزئون] [الأحقاف: ٢٦]. والله تعالى جعل للعقل حدًا لا تتعده ولا تتمكن من مجاوزته، وما أدركه وتدركه من المعلومات فهو قليل جدًا في جانب ما لا تعلمه من هذه العالم، فكيف تتجاوز هذه العالم التي قصرت العقول عن إدراكتها حتى تجحد رب العظيم الذي هذه العالم كلها داخلة في ملکه وتصريفه وتدبره؟! ثم ترجع إلى هذه المخلوقات وما فيها من الحوادث فتدعي أنها ولidea المصادفة من غير خالق خلقها ولا محدث أحدها ولا حكيم ابتدعها ونظمها، سبحانك هذا بهتان وجرم عظيم: ﴿تَكَادُ أَسَمَّوْتُ يَنْفَطَرُنَّ مِنْهُ وَيَنْشَوْ أَرْضُ وَيَخْرُ لِبَائِلُ هَذَا﴾

(١) الأدلة القواطع (٦/٦٧).

(٢) انظر: الأدلة القواطع (٦/٦٧).

● أن دعوَ اللَّاجِئِينَ وَلَدَاءَ [مریم: ٩١-٩٠]. فكيف بمن جحده ونفاه بالكلية؟^(١)

الأصل الخامس: استدلالهم بأحوال المنحرفين.

من الأمور التي يستدلّ بها الملاحدة كثيراً في الطعن على الدين، واتهام المسلمين، استدلالهم بأحوال كثير من الخرافيين والدجالين الذين ينسبون أفعالهم إلى الدين، والدين منهم ومن أفعالهم بريء.

قال السعدي في ردّه على القصيمي: (ثم إن هذا الكاتب برج على من لم يعرف الحقائق بالاستدلال بأحوال المنحرفين من الصوفية والخرافيين، ومن تسمى بالدين وهو منه بريء، وأورد من خرافاتهم وخزعبلاتهم، ما يُظْنُ أنه يروج به باطله، حيث نسبة إلى حملة الدين، وهو يعلم حق العلم أن الدين وأهله الذين هم أهله؛ هم أبعد الناس عن هذه الخرافات، وأعظم المنكرين لها، وأنهم يبرءون منها، وينزهون الدين الإسلامي عنها، فكيف لا يستحي أن يستدل بأحوال ابن عربي، وخرافات الشعراي، وشطحات المتصوفة على الدين وأهله، ويتوسل بذلك إلى القبح في الدين وحملة الدين، وهو يعلم حق العلم أن الإسلام بريء من هذه الأمور والشطحات والخرافات).^(٢)

وكذلك ردّ على استشهاده بما قصه عن الرازي والأمدي وابن أبي الحميد وأمثالهم من الحائرين في معرفة الله، وإن كان بعضهم قد تراجع عن حيرته، ونسب هذه الحيرة إلى المسلمين، وتتجاهل أنّ هذه الحيرة إنما تولدت لما رفضوا علوم الدين الصحيحة، وحكموا عقولهم في ذلك.^(٣)

(١) الأدلة القواطع (٦/٣٩).

(٢) تنزيه الدين (٦/١٨٠).

(٣) انظر: تنزيه الدين (٦/١٩٨).

الأصل السادس: استدلالهم بتراث المسلمين وتخلفهم وتطور غيرهم من الأمم الكافرة.

وهذا من أعظم ما يحتاج به ملاحة العصر، حين ربطوا بين تأخر المسلمين في العلوم التجريبية وبين ما يدينون به من دين الإسلام، وهو ما أقام عليه القصيمي بحثه، حيث كان مدار بحثه على أمرتين: الأولى: تأخر المسلمين، والثانية: تطور غيرهم، فكانت النتيجة عنده رفض ما عليه المسلمون، وإلصاق هذا التراجع بالإسلام وعقائده وأخلاقه^(١).

وقد يُبيّن -رحمه الله- الجواب عن هذا الأصل الخطير من أصولهم، من أوجه كثيرة:

أولاً: بإظهار محاسن هذا الدين الإسلامي، وما يدعو إليه من العدل والرحمة والعلم والحكمة، وأنه دين المدنية الزاهرة المبنية على صلاح القلوب والأرواح، وصلاح الدين والدنيا.

ثانياً: أن الدين كما حثّ على تعلم العلوم والفنون التي ترجع إلى صلاح الدين، حثّ على تعلم العلوم والفنون التي تعين على قيام حياة الأمة وإصلاح أحوالها واستعدادها لمقاومة الأمم الأخرى، فقد قال في جانب مقاومة الأعداء: ﴿وَأَعْدُوا لَهُم مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ فُؤُرٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال في جانب الدفاع: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ مَأْمُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، وكذلك كل آية أو حديث في الأمر بالجهاد والتحثّ علىه.

ثالثاً: أن الدين كما أمر بالاستعداد بالقوة المادية فقد أمر بالاستعداد بالقوة

(١) انظر: تزيء الدين (٦/١٦٩-١٧٩، ١٧٦، ١٧٠)، أصول الدين (٦/٨٢٠-٨٢٢)، النصيحة الربانية (٦/٩٤)، وجواب مجمل (٦/٢١٥).

المعنوية، كأمره بالإيمان والتوكيل على الله تعالى، وحثهم على تمرير النفوس على القوة والشجاعة.

رابعاً: أن الدين يخبرنا أن التوكيل وحده بدون فعل الأسباب ليس بتوكيل حقيقي، بل هو ضعف وعجز^(١).

خامساً: أن رقي الأمم الكافرة وسبقها لغيرها في الابتكارات والفنون الصناعية لم يكن إلا بعدما أدخلت عليها تعليمات هذا الدين، واقتبسوا أصل هذه الصناعات من المسلمين^(٢).

سادساً: بيان السبب الحقيقي لتأخر المسلمين، فليس في دين الإسلام أصل من الأصول أو فرع من الفروع يوجب على أهله التأخر بوجه من الوجوه، وإنما السبب الوحيد هو ترك الاستمساك بروح الدين ومقوماته^(٣).

قال السعدي في بيان أن العبرة ليس في التقدم الديني: (انظروا إلى أعمالهم إن كنتم مرتباً، وتأملوا آثارهم إن كنتم تعلقون، كم هدموا من محسن وفضائل، وكم أقاموا من شرور ورذائل! ولا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، ولا تغتر بما أعطيه هؤلاء الملحدون من إدراكات وقوة ذكاء وفطنة وأعمال، فإن الذكاء وتوابعه إذا لم يصرف فيما خلق له العبد، وإذا أنكر صاحبه أو وضع الأشياء وأحقها، كان ضرراً كبيراً على صاحبه مآلـه الـهـلاـك)^(٤).

(١) انظر الوجه السابقة في: تنزيه الدين (٦/١٧٠-١٧٢).

(٢) انظر: تنزيه الدين (٦/١٧٤).

(٣) انظر: تنزيه الدين (٦/١٧٥).

(٤) الأدلة القواطع (٦/٢٢).

المبحث الرابع: نماذج من منهج الشيخ السعدي في نقض بعض شبهات أهل الإلحاد.

لقد نبه الشيخ السعدي -رحمه الله- على كثير من الشبهات التي عرضها الملاحدة للطعن في الإسلام وأهله، وكان -رحمه الله- يأتي عليها بالنقض الجلي الواضح، وسأعرض في هذا المبحث نماذج من هذه الاعتراضات ونقضها لها، خصوصاً عند رده على القصيمي الذي عرض في كتابه كثيراً من الشبه والاعتراضات. أولاً: تحريفه ل الحديث: «ولايزال عبدي يتقرب إلى النوافل حتى أحبه، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به...» إلى آخر الحديث^(١)، فقال: إن الحديث يدل على أن العبد غير مقيد، وأنه لا يمتنع على قدرته شيء، وأنه لا حد يقف عنده علمه وقدرته.

الجواب:

أن هذا الإلحاد والتحريف لكلام الله وكلام رسوله لم يقل أحد ما يشبهه إلا الملاحدة من أهل وحدة الوجود، ومعنى الحديث معروف والله الحمد بين المسلمين، أن ذلك يدل على تسديد الله وتوفيقه ومعونته الخاصة لعبده القائم بمحبوباته من الفرائض والنوافل^(٢).

ثانياً: ما قاله على قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِم﴾ [الكهف: ٥١]. حيث زعم أن علم الإنسان محاط بمبادئ خلق هذا العالم؛ فإنه يزعم أن الآية لا تنفي العلم، حيث قال: ما أشهدتهم، ولم يقل: ما أعلمتهم، وزعم أنهم كانوا عالمين وإن لم يكونوا مشاهدين.

الجواب: أن هذا لم يقله أحد من المفسرين. أما تفسيرها المعروف عند

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦١٣٧).

(٢) انظر: تزييه الدين (٦/٢٠٠).

ال المسلمين ، فهو أن الله أنكر على الكافرين به المكذبين لرسله ، الذين زعموا أن أحداً من المخلوقين يستحق من العبادة والخضوع ما يستحقه الله فكذبهم الله ، وأخبر أن جميع الخلق ليس لهم مشاركة الله بوجه من الوجه ، فلم يشهدهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ، وهذا نفي لطرق العلم كلها ، يعني فليس لهم سبيل إلى ذلك ، فإذا لم يشهدوا بذلك ، فهم لم يعلموا وإذا لم يعلموا فشهادتهم ودعواهم لاستحقاقها العبادة ، دعوا في غاية البطلان والتقول على الله تعالى ، وهي نظير قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ بِمَجَابِ الْفَرِيقِ﴾ [القصص: ٤٤] (١) .

ثالثاً: ومن تحريفاته التي تقشعر منها الجلد ، على قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُونَ ظَهِيرَةَ مِنَ الْحَيَاةِ الَّذِيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُرَغَفُلُونَ﴾ [الروم: ٧] . أن المراد بذلك القرن الذي أنزل عليهم ، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وأن معناها أن علومهم لم تصل إلى باطن الأشياء ، وإنما علمهم قليل جداً ، وأنهم في ذلك الوقت في طور الطفولة ، بل في طور قريب من طور الحيوانات ، ولم يبلغوا رشدهم ، وإنما الذين بلغوا رشدهم عنده ملاحدة هذا الزمان.

والجواب: أن الآية والله الحمد واضحة لا إشكال فيها ، وأن هذا وصف للكافرين المكذبين لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ، أخبر تعالى أن علومهم ظاهرة ، يعلمون ظاهر الحياة الدنيا دون باطنها ، وأنهم في غفلة عن الآخرة ، فهذا السبب الذي أوجب لهم رد ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - وإلا فلو علموا ظاهرها وباطنها المقصود منها؛ ليبدروا إلى الإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ، كما فعله أهل العلم الحقيقي الذين بادروا والمارأوا الآيات البينات إلى الإيمان به ، لكن هذا الرجل يطبق هذه الآية على خيار الخلق ، وأكمل القرون على الإطلاق ، ويُسخر من العالمين بباطن الدنيا المستعدين للآخرة ، القائمين بعبودية الله ، العجاعلين الدنيا وسيلة إلى الدين (٢) .

(١) انظر: تنزيه الدين (٦/٢٠١).

(٢) انظر: تنزيه الدين (٦/٢٠١-٢٠٢).

رابعاً: تفسيره لحديث: «كل مولود يولد على الفطرة»^(١). بأن الفطرة هي الخبرة والشر، وأن الإنسان بطبيعة خلق شريراً، وأن الفطرة معناها أنه مفطور على الشر.

الجواب:

١/ أن في هذا رفض جهاراً التفسير أئمة الهدى لهذا الحديث، بأن معناه هو أن الله فطر عباده على قبول الخير علمًا و عملاً، وأن الله تعالى جعل في خلقتهم استعداداً تاماً لقبوله نعمة منه وفضلاً، كما قال تعالى: ﴿فَآتَيْتَهُمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَسِيقَ فَطَرَتَ اللَّهُ أَلَّى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَنْبَدِيلُ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَيِّنُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الشَّاكِرِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠-٣١]. الآية.

٢/ يلزم على قوله أن يُستدرك على النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث قال:
«فأيواه يهودانه أو ينصر انه أو يمحسانه».

٣/ في نفس الحديث رد عليه حيث قال: «كالبهيمة الجماع، هل تحسون فيها من جدعاً حتى تكونوا أنتم تجدعونها». أي: كالبهيمة التي تولد مجتمعة الخلق كاملة الأعضاء، حتى يجدها الناس، بقطع الآذان أو بعض الأعضاء، كذلك الآدمي خلقه الله مفطوراً على الاستعداد لمعرفة الحق وقوله، فلو ترك وفطرته ولم يعرض له ما يغيرها من التربية السيئة، لما اختار غير الدين الحق، فالقول بأنَّ الفطرة معناها الشر والهمجية، مناف للآية والحديث^(٢).

وذكر الشيخ -رحمه الله- جملة من هذه الشبهات المتهافة التي تدل على ضعف في العلم والعقل، والحججة والبرهان.

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (١٣١٩)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٥٨).

^(٢) انظر: تئن به الدین: (٦/٢٠٣-٢٠٤).

الخاتمة

بعد عرض منهج الشيخ السعدي -رحمه الله- في رده على أهل الإلحاد يتبيّن لنا ما يلي.

أهم النتائج:

- ١- أن الشيخ السعدي من المدافعين عن الملة، ومنمن سُلَّمَ قلمه في الذب عن الدين، وخصوصاً الرد على الملحدين.
- ٢- يظهر لنا جلياً خطورة الإلحاد، وأنه مرتע وخيم لنبذ الدين ومنابذته وحربه وحرب أهله.
- ٣- أن الإلحاد انسلاخ من جميع الأخلاق والعادات الحسنة، وانحلال من كل المبادئ الإسلامية.
- ٤- أن على أهل العلم الاجتهد في بيان ما عليه أهل الإلحاد، وبيان لوازم أقوالهم، وما لات أحوالهم.
- ٥- أن الأدلة الشرعية والعلقية كلها تدحض ما يقوله أهل الإلحاد.
- ٦- أن الإلحاد له أصول فبإسقاطها يسقط الإلحاد وينهدم.
- ٧- أن منهج السعدي في الرد على أهل الإلحاد امتاز بكثير من المزايا، منها:
 - ١- أسلوبه السهل الواضح في بيان حقيقة الإلحاد والرد عليه.
 - ٢- قوّة حججه العلمية الشرعية المأكولة من الكتاب والسنة.
 - ٣- بيان الحجج العقلية الواضحة في نقض الإلحاد وأصوله.
- ٤- استخدام المقارنات التي توضح الدين الصحيح وتتفصّل الإلحاد والباطل.
- ٥- ربطه بين أقوال الملاحدة المتقدمين مع الملاحدة المعاصرین، وبيان أصولهم المشتركة.

توصيات:

- ١- أوصي نفسي وأهل العلم وطلابه بالاجتهاد في الكتابة في بيان ما يدعوه إليه الإلحاد وأهله، خصوصاً مع انتشاره بين شباب المسلمين.
- ٢- استغلال وسائل التواصل الاجتماعي الإلكترونية في الرد على الملحدين وبيان زيف أقوالهم.
- ٣- التأليف في أنواع الإلحاد المعاصر، وبيان مآلاته الخطيرة، ومفاسده، والرد عليه بالعقل والنقل.
- ٤- كتابة رسالة علمية واسعة حول: جهود الشيخ السعدي في بيان خطورة الإلحاد، ومنهجه في الرد عليه، وبيان أسباب الإلحاد، وكيفية معالجته، خصوصاً أن ما تركه الشيخ حول ذلك يعد ثروة علمية ثرية.
- ٥- دراسة أسباب انحراف عبدالله القصيمي وإظهارها من خلال كلام الشيخ السعدي، والربط بينه وبين الملاحدة المعاصرين.
- ٦- العناية بتحقيق وخدمة كتاب الشيخ السعدي: (الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين)، وتمييز أقواله عن نقولاته، والإحالـة إلى ما ينقله عنـشيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم.

فهرس المراجع

- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، ضمن المجلد السادس من المجموع.
- أصول الدين، ضمن المجلد السادس من المجموع.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تأليف: ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- البراهين العقلية على وحدانية رب ووجوه كماله، ضمن المجلد السادس من المجموع.
- تزكيه الدين وحملته ورجاله مما افتراء القصيبي في أغلاله، ضمن المجلد السادس من المجموع.
- التوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، ضمن المجلد السادس من المجموع.
- جواب مجمل عما احتواه كتاب الأغلال من الضلال، ضمن المجلد السادس من المجموع.
- الدرة البهية في شرح القصيدة التائية، ضمن المجلد السادس من المجموع.
- الرد على الزنادقة والقائلين بوحدة الوجود، ضمن المجلد السادس من المجموع.
- صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
- صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد.

- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف: ابن القيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٨ هـ الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله.
- الفتوى الحموية الكبرى، تأليف: شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية ، دار الصميعي - الرياض - ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، الطبعة: الثانية ، تحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري.
- لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر- بيروت ، الطبعة: الأولى.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
- مجموع مؤلفات الشيخ العالمة عبدالرحمٰن بن ناصر السعدي، طبع على نفقة مؤسسة الأميرة العنود بنت عبدالعزيز آل سعود، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ، دار الميمان، الرياض.
- نبذة جامعة مفيدة مختصرة في التحذير من كتاب (هذا هي الأغلال).
- النصيحة الربانية في الرد على المغتربين بدعاة الإلحاد والمدنية الغربية (انتصار الحق)، ضمن المجلد السادس من المجموع.